الفلسفة.. وفضح أفيون كرة القدم..

ما جدوى الفلسفة اليوم؟ وقد خرست حتى الأصوات التي تُعلن وفاتها، ومنحها تأبينًا يليق بتضحياتها.. على غرار دفاع أنتغون وهي تُرافِع باستماتة لمنح شقيقها الحق في الدفن الكريم.. بعدما خاب سعيه وكفاحه في انتزاع العيش الكريم..

موت الفلسفة ليس وهْمًا ولا خبرا سارًّا.. بل هو إرادة خبيثة من طرف أعداء الحقيقة، أملا في إقبار الفلسفة عبر إقبار وظائفها الكبرى وأهما كشف الحقيقة بدل ابْتلاع الأوهام.. والمُطالبة بالمساواة والدفاع عن الحق في العيش الكريم..

حين وصف فيورباخ الدين بأفيون الشعوب.. كان يقصد تحديدا وظائف الدين المسيحي الذي تحول إلى إيديولوجيا لقلب الحقائق، وتبرير الظلم، وإدماج المسيحيين ضمن نسق فكري يجعلهم يُباركون العبودية ويُمجِّدون الخلاص الوهمي باستبدال مشروع الحياة الواقعية بمشروع وهمي يبيعهم صكوك الغفران، ويقبلون بالذُّل والهوان..

اليوم أصبحت كرة القدم أكبر أفيون لتخدير الشعوب.. لقد حاول ماركس جعل الإنسان الهيجلي يمشي على قدميه بعدما كان يسير على رأسه.. لكن المفارقة اليوم أكبر وأخطر، لأن الإنسان المعاصر لا يمشي حتّى على رأسه وفق اختياراته وقراراته، بل تختطفه كرة فارغة، ملئيه بالهواء والأهواء تعكس فراغه الفكري وضحالة القيم الإنسانية.. ورغم الركلات التي توجه له تباعا.. فهي لا تستطيع إيقاظه من سباته الدوغمائي العميق..

ركلات التفقير.. ركلات التجويع.. ركلات التعنيف.. حروب هنا وهناك.. أطفال يموتون جوعا وقد تحولت أجسادهم الفتية إلى هياكل عظمية.. مشردون يبيتون في العراء القارس القاتل.. ملايين البشر دون مسكن ولا مأكل.. مرضى يموتون دون علاج.. جحافل أطفالٍ يسيرون مسافات طويلة، يقطعون مسالك وعرة من الخامسة صباحا كي يصلوا في الثامنة صباحا إلى كوخ حقير بئيس يُسمّى مدرسة.. نساء يبعن كل شئ من أجل لقمة عيش ملوثة بالعرق والعار..

ركلات تلو الركلات.. وجماهير فقيرة مخدرة بأفيون كرة القدم تتطلَّع، إلى انتصارات وهمية.. تنسيهم هزائمهم وانتكاساتهم الواقعية..

لقد فضح الفيلسوف بول ريكور وظائف الإيديولوجيا في قدرتها على قلب الحقائق بتشويه الواقع و"تبرير" الاختيارات الخاطئة لكل دولة

بمنحها مشروعية كونية، من خلال ادِّعائها أن العالم كله اليوم يعشق اللعبة المستديرة، وهنا نصل إلى مستوى أقسى وأقصى يكمن في "إدماج" أفيون الكرة ضمن الاختيارات الهوياتية للشعوب، مما يمنح المستديرة دور "اللعبة المقدّسة" .. طبعا كل من تُسوِّل له نفسه انتقاد المقدسات سيجد نفسه في فوهة براكين الجماهير التي تقبع في كهف الجهل والظلام، ولا ترى من الحقيقة إلا أوهام الكرة المقدّسة..

في دولٍ هشّة حيث المدارس معطوبة والمستشفيات مشلولة والكوارث تتدفق كشلال هادر.. تكون الكرة ترفا جنونيا.. وهذا يؤكد مدى قدرة الإيديولوجيا المعاصرة على نشر أسوأ الأوهام وقابلية الجماهير باستبدال صفقة العيش الكريم، والتعليم النافع والصحة الجيدة، والسكن اللائق، والحق في الحياة الحقيقية.. بصفقة الأوهام التافهة.. حيث الملايير تُخصّص لبناء الملاعب الفاخرة واستيراد الخبراء والأكاديميين والمدربين والسوفسطائيين.. الذين يبيعون الأوهام من أجل مصلحتهم الأنانية في العيش الباذخ بينما الملايير من البشر الكادحين المسحوقين المعذبين في الأرض يناضلون.. ويتألمون.. ثم يتوجهون إلى معابد الكرة المستديرة كي تمنحهم الفرح والانتصار..

هل تستطيع الفلسفة اليوم أن تصرخ كفى من التفاهات.. كفى من تبديد الحياة.. كفى من قلب الحقائق.. كفى من أوهام الإيديولوجيات التي حوّلت الشعوب إلى قطيع يخضع ويُطيع...